

جهود إبراهيم أنيس في الدراسات اللغوية المعاصرة

كتاب الأصوات اللغوية " أنموذجا "

الدكتور يوسف القماز

جامعة مؤتة - الأردن

المقدمة

شهدت الحضارة الغربية تطورا هائلا منذ نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين ، تطورا طال جميع نواحي الحياة الفكرية والمادية ، وقد تأثر العالم كله بهذا التطور ، ولمست آثاره على كل صعيد ، حتى غدت الكرة الأرضية بمثابة قرية صغيرة يدرك الناس كل ما يجري فوقها من أحداث واختراعات ، وقضايا فكرية وإنسانية وعلمية وصناعية، وغير ذلك .

ومن بين جوانب الطفرة هذه ، ما تعلق بجوانب الدراسات اللغوية ، التي تقدمت بشكل صارخ وملمس على يد مجموعة من العلماء الغربيين ، وعلى رأسهم العالم اللغوي فرديناند دي سوسير (1857- 1913) في كتابيه (علم اللغة العام ومحاضرات في الألسنية العامة) ، والعالم شارلس بالي ، اللذان نظرا إلى اللغة على أنها وظيفة حياتية مشربة بالعلاقات الإنسانية ، وممتزجة بالنضال البشري ، وقد وجدت من أجل تحقيق أغراض الحياة نفسها . (1) .

وغدا موضوع علم اللغة ، يتناول النشاط اللغوي الإنساني دون تحديد لزمان أو مكان ، وأصبح من الشمولية بمكان ينظر فيه إلى اللغات الحية أو اللغات التي درست ، أو اللغات القديمة أو الحديثة من خلال مناهج متعددة وصفية وتاريخية ودراسات مقارنة (2) ، وأصبحت الدراسات المتعلقة باللغة متعددة الجوانب : فمنها ما يبحث في الأصوات اللغوية من حيثيات متعددة الجوانب كترتيب

2- انظر عبد التواب, د- رمضان. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , مكتبة الخانجي القاهرة ط1995 ص7

حروفها وصفاتها ومخارجها وغير ذلك , و منها ما يبحث في القواعد المتصلة بالصيغ والاشتقاق (علم الصرف), ومنها ما يبحث في دراسة نظام الجملة وترتيب أجزائها , وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض (علم النحو) , ومنها ما يبحث في دلالة الألفاظ , والعلاقة بينها وبين المعاني من حيث الدلالة على الحقيقة , أو المجاز , والتطور الدلالي , ونشوء ظواهر الاشتقاق والترادف والتضاد والاشتراك اللفظي وغيرها, ومنها ما وصل إلى درجة إغلاق البحث فيه , كالبحت في نشأة اللغة وأصلها , ومنها ما يتعلق في دراسة اللغة من حيث ارتباطها بالمجتمع والإنسان , ومنها ما يبحث بحياة اللغة وتطورها في مجالات الأصوات والبنية والتركيب , ومنها ما يتعلق بالصراع داخل اللغة الواحدة أو بين اللغات . (1) .

وكان لهذا التطور الغربي في نواحيه المتعددة , انعكاساته على العالم العربي ؛ فقد بدأت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بعثات وإرساليات - بدأها محمد علي باشا ثم أبناؤه - إلى أوروبا تؤتي أكلها , وقامت هذه الإرساليات بمهمة نقل جوانب التطورات , من خلال مجموعة من العلماء الأجلاء ,في مجالات الطب والهندسة والعلوم البحتة والفلك والرياضيات وغيرها .

ومن بين جوانب هذا التطور ما يتعلق بالدراسات المتعلقة في الأدب واللغة ,وبدأت رياح التغيير في العرض ,والمنهج , وطرق البحث, والاستنباط , تلف العالم العربي عامة , ومصر خاصة , وقام بهذه الموجات من التغيير , مجموعات من العلماء والأدباء , ممن استفادوا من تلك الثقافات الغربية , واستقوا منها ؛ ففي مجال الأدب والشعر والنقد , ظهرت مدرسة الديوان , وعلى رأسها عباس محمود العقاد والمازني , ثم مدرسة ابلوا , ومن روادها عبد الرحمن شكري . وفي مجال الدرس النحوي , ظهر إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) , وقد تحدث فيه عن منهجية التغيير في الدرس النحوي, وفيه محاولات لتسهيل الدراسة النحوية التي لم تتغير , لا في المنهج , ولا في المضمون منذ عهد سيبويه حتى عصرنا الحاضر وفي مجالات التفسير , ظهر الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده ,

كما أخرجت مصر المفسر العلمي الكبير طنطاوي جوهرى , في تفسيره (الجواهر) الذي يركز فيه على استغلال المعرفة في العلوم الطبيعية في توجيه النص القرآني في شيء من المبالغة أحيانا , وظهر الأديب

والمفكر مصطفى صادق الرافعي, والشيخ محمد الخضري , في كتبهم ومقالاتهم في الرد على المنحرفين , كما نجد الآثار والجهود الطيبة للسيد قطب في مجال النقد والأدب والتفسير من خلال كتابه المتميز (التصوير الفني في القرآن) الذي يحمل في طياته نظرية تمثل آخر ما توصل إليه في جانب الإعجاز البيان في القرآن , وتفسير الظلال , وكتاب النقد الأدبي, و كذلك ما أنتجه أخوه محمد قطب في مجال الأدب والدراسات القرآنية , والدكتورة عائشة بنت الشاطئ وزوجها أمين الخولي , ومحمد أمين , والدكتور شوقي, وإحسان عباس , وغيرهم من علماء هذا العصر مما يطول ذكره والوقوف عليه ومن بين هؤلاء العلماء , يظهر إبراهيم أنيس , الذي برز في جانب الدراسات اللغوية والصوتية,من خلال كتبه ومؤلفاته , حتى أمسى يشار إليه بالبنان في هذا المجال , و أصبح يعد المرجع الأساسي- في هذا العلم في العالم العربي المعاصر- لمن جاء بعده . ونظرا لجهود هذا العالم فإن كتابتي هذه الأوراق تعد بمثابة الإطلاع على جانب من جهوده في مجال تطوير المصطلح الصوتي العربي القديم في ضوء اطلاعه على الدراسات الغربية الحديثة . لا أحد يستطيع أن ينكر أن بعض الدراسات في بداية هذا القرن كانت موجه بتأثير الاحتلال الأجنبي الإنجليزي والفرنسي , وأن أغراضها لم تكن لصالح هذه اللغة ,بالقدر التي خدمت فيه مصالح الاحتلال , من أمثال ما نادى به سلامة موسى , الذي دعا إلى الكتابة بالعامية , و أحمد لطفي السيد أحد رؤساء مجمع اللغة العربية , الذي دعا إلى تمصير اللغة العربية , وحسن الشريف في مقالته (تبسيط قواعد اللغة العربية) ,واسكندر المعلوف وابنه عيسى، اللذان عمدا إلى تأليف معجم العامية , وعبد العزيز فهمي , الذي دعا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية, ودراسة أنيس فريحة عضو اللجنة الثقافية في المجمع من خلال كتابه (اللهجات وأسلوب دراستها) و كما كان لطفه حسين الأثر القابل للجدل في مجال النقد والشعر من خلال

كتابه(مستقبل الثقافة في مصر وكتاب في الأدب الجاهلي) و غيرهم (1) إلا أننا لا نعدم حسن النية والتوجه لخدمة هذه اللغة -على ما نحسب - من خلال كتب إبراهيم أنيس, ومن بينها الأصوات اللغوية . وربما الاطلاع على حياة المؤلف تلقي لنا بعض الضوء على مواقفه .

حياته : لا تغفل الدراسات الحديثة -إذا أردت تناول شخصية معينة , والآثار الناتجة عنها - العلاقة بين الشخصية , وزمان النشأة , والمكان , والبيئة ؛ لما لها من آثار سلبية , أو إيجابية , على تكون تلك الشخصية , ولعله من فضول القول , الإشارة إلى منطلقات العالم (تين) في حديثه عن أهمية الزمان والمكان والعرق والثقافة في إثراء شخصية الناقد المتبصر (2) . ولد هذا العالم الجليل إبراهيم أنيس, مع غرة القرن العشرين سنة 1324 للهجرة الموافق لسنة 1906 للميلاد , بمدينة القاهرة ,عاصمة حوض النيل العربي , في الحقبة الزمنية التي حكمت فيها أسرة محمد علي باشا مصر . تحت إطار من الخلافة العثمانية , وسيطرة من المستعمر الانجليزي الذي احتل مصر سنة 1882 . ونشأ في عائلة كريمة , درس الابتدائية بالقاهرة ,ثم التحق بالمدرسة التجهيزية الملحقة بدار العلوم , وحصل منها على شهادة الدراسة الثانوية , ثم تخرج في دار العلوم العليا, وحصل منها على شهادة الدبلوم العالي, سنة 1349 للهجرة ,والموافق لسنة 1930 للميلاد , و كان في هذه الفترة شاعرا ,يحب الشعر والمسرح ,ويجيد التمثيل,وقد ترأس جمعية التمثيل الطلابية بدار العلوم , وله تمثيلية بعنوان: (الشيخ المتصابي) , قام هو بدور البطولة فيها.ابتعثته الحكومة المصرية إلى إنجلترا , وهناك حصل على شهادات علمية من البكالوريوس إلى الدكتوراة في الفلسفة من جامعة لندن في الدراسات اللغوية السامية سنة 1360 للهجرة والموافق لسنة 1941 للميلاد ,وعند عودته إلى مصر وعين مدرسا بكلية دار العلوم , ثم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية . وقد أنشأ في الجامعة معملا للصوتيات ؛لتحديث الدراسات اللغوية ,ثم عمل أستاذا ورئيسا لقسم اللغويات بجامعة دار العلوم سنة 1378 للهجرة و

الموافق

لسنة 1955 للميلاد . اختير خبيراً بمجمع اللغة العربية , ثم أصبح عضواً فيه سنة 1381 للهجرة الموافق

لسنة 1961 للميلاد , وقد تنقل بين لجان المجمع المتعددة : من لجنة الأصول , إلى لجنة اللهجات , إلى لجنة المعجم الكبير , ثم إلى الإشراف على مجلة المجمع سنة 1387 للهجرة والموافق لسنة 1967 للميلاد ؛ مما منحه صقلاً للمواهب , وثراء في العطاء المتميز .

استمرت حياته حافلة بالعلم والعمل الدؤوب إلى أن توفي إثر حادث أليم في جمادى الآخرة

سنة 1397 للهجرة والموافق للثامن من شهر حزيران لسنة 1977 للميلاد . (1)

ب . محمد خير رمضان . تنمة الأعلام للزركلي , دار ابن الحزم ببيروت 1418هـ 1998م

ج . ناصيف , على النجدي . الدكتور إبراهيم أنيس , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة ,

الجزء 40 , 1397 . 1977 .

د . عبد الجواد , محمد . تقويم دار العلوم , القاهرة , 1952 .

هـ . تمام , د . أحمد . مقالة بعنوان : إبراهيم أنيس رائد الدراسات النحوية في ذكرى وفاته

20 جمادى الآخرة 1397 .

مؤلفاته :

لقد كان لإشراف إبراهيم أنيس على مجلة مجمع اللغة العربية بمصر, اثر بالغ على شخصيته العلمية وإنتاجه ؛ فقد شكل هذا القرب من دوائر البحث العلمي محفزا قويا للكتابة العلمية في مجال الاختصاص , حيث نجد رفدا لهذه المجلة من مقالات , وبحوث علمية , كلها بقلمه , في مجالات الدراسات اللغوية , حفظت كآثار دالة على غزارة علمه , بالإضافة إلى مجموعة من المؤلفات الأخرى ومن أهمها :

- الأصوات اللغوية
- من أسرار اللغة العربية
- موسيقا الشعر
- في اللهجات العربية
- دلالة الألفاظ
- اللغة بين القومية والعالمية
- مستقبل اللغة العربية المشتركة .

تلاميذه :

لقد كان لإبراهيم أنيس الأثر الإيجابي والفعال على مجموعة كبيرة ممن تتلمذوا على يديه , ممن كان لهم الأثر في استمرار مسيرة البحث العلمي في مجال الدراسات اللغوية من بعده , واخص منهم بالذكر : الأستاذ الدكتور فهمي حجازي , والأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز , والأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف , والأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقي , وكلهم ممن له شأن في مجال الدراسات اللغوية المعاصرة .

الدراسات الصوتية عند العرب قبل إبراهيم أنيس :

إن الناظر في الدراسات الصوتية عند العرب قبل عصر النهضة الحديثة, ليجد إن العرب قد قدموا الشيء الكثير في هذا المجال , على الرغم من بدائية الوسائل المستخدمة لديهم , فاستطاعوا من خلال حسهم المرهف أن يضعوا أيدينا على كثير من القضايا التي لها مساس مباشر بالدرس الصوتي الحديث , خاصة عند الأوائل منهم, ممن بقيت قريحته العربية , وحسه المرهف يعملان في تحليل الدرس الصوتي , وتعليقه؛ لاستنباط القواعد العامة التي تحكمه , والناظر في المكتبة العربية القديمة , يجد أن مظان الدراسات الصوتية واللهجية , متعددة الجوانب والاتجاهات , فمنها ما يتعلق بالمعاجم , ومنها ما يتعلق بكتب النحو والصرف , ومنها ما يتعلق بكتب البلاغة واللغة والقراءات القرآنية وكتب المعاني . والسيطرة التفصيلية على هذه المؤلفات في هذه العجالة , من الصعوبة بمكان, و ضرب من الخيال ؛ لذا فإنني هنا, أحاول أن أشير لأبرز من ساهم منهم في هذا المجال .

ولعل أشهر العلماء على الإطلاق في هذا المجال , الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175) العماني الأصل , البصري النشأة , ومؤسس المذهب البصري في النحو .

وأول ما يطالعنا من دراسته الصوتية , اكتشافه للعروض , وما تجري عليه الأوزان في الشعر العربي من موسيقا ومقاطع صوتية , أساسها التقسيم إلى حركات , وسكنات للصوت العربي , وقد استطاع الخليل من خلال هذه التقسيمات , حصر الأوزان الشعرية العربية , وعددها في خمسة عشر بحرا, لم يستدرك عليه منها شيء , إلا ما كان من الأخفش , الذي طالع الدراسة العروضية بتفصيل البحر المتدارك .

وتظهر عبقريته الفذة في طريقته , التي حاول بها حصر كلمات اللغة العربية مستخدما ترتيب الكلمات حسب مخارجها, ونظام التقلبات الصوتية, مودعا ذلك كله في كتابه (العين) .

ومكمن الدراسة الصوتية هنا في اختراعه ترتيبا للحروف على نحو غير مسبوق, و دقيق

منطقي معتمد على أسس علمية في تحديد الحروف حسب مخارجها بطريقة بدائية في ضوء عدم توفر المعامل الصوتية، فمقياس تذوق الحرف عنده، أنه كان يبدأ بالحرف ساكنا وقبله فتحة، (أب - أت ... وهكذا) وعلى أساسه رتب الحروف، مبتدئا بالحروف الحلقية، ثم اللسانية، ثم الشفوية، ثم الهوائية، وجعل لكل حرف منها كتابا. (1) ويعد العين أول المعاجم العربية التي تطلعنا في ثناياها بالدراسات الصوتية.

الدراسات الصوتية عند سيبويه:

ويعد الخليل، تطالعنا الدراسات الصوتية عند تلميذه سيبويه، الذي جمع آراء الخليل اللغوية في كتابه المسمى بـ (الكتاب)، وأضفى عليها من آرائه الخاصة، ما جعله يظهر على أنه الأصل، وما قاله الخليل على أنه الفرع.

ويظهر درجة التفاوت بين الأستاذ وتلميذه في الخلاف في ترتيب الحروف، وعدد المخارج؛ فعند الخليل نجد الحروف على الترتيب الآتي (ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ء ي).

وعند سيبويه على النحو الآتي: (ء ا ه ح ع غ خ / ق ك / ج ش ي ض / ل ر ن / ط د ت / ص ز س / ظ د ث / ف ب م و).

ويرجع هذا الخلاف، إلى اختلاف مقياس تذوق الحرف عند كل منهما؛ فالخليل يستخدم

الهمزة المفتوحة، وسيبويه يؤثر الهمزة المكسورة. (2)

والقضايا المتعلقة بالدراسات الصوتية عند سيبويه نجدها محصورة فيما أودعه في كتابه المسمى بـ (الكتاب) من ذكر الحروف العربية، وعددها، وصفاتها، ومخارجها، وأحوالها من حيث التأثير والتأثير، وغير ذلك.

1. أبو سكين د- عبد الحميد محمد و د- شعبان عبد العظيم. محاضرات في المعاجم العربية، مطبعة الأمانة، مصر، ص 27.

الدراسات الصوتية عند ابن جني

وتتكرر صورة الدراسات الصوتية القديمة عند ابن جني، حيث نجده في كتابه (سر صناعة الإعراب) يورد ترتيب الحروف على صورتها عند سيبويه، وكذلك تعداد مخارجها، ووصف حروفها، وتكمن داسته في أنه يوضح ويفسر أحيانا مواقف سيبويه بأمثلة من عنده، من ذلك قوله في توضيح مقياس تذوق الحرف وتحديد

مخرجه: " وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف ، أن تأتي به ساكنا لا متحركا ؛ لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره ، وتجذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ؛ لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول : إك، إق ، إج وهكذا سائر الحروف). (1)

ومن تفسيراته أيضا، ما التمسه لطريقة حدوث الصوت من وسيلة إيضاح ، إذ يشبه ابن جني مجرى النفس في أثناء النطق بالمزمار ، كما يشبه مدارج الحروف ومخارجها بفتحات هذا المزمار التي توضع عليها الأصابع ، أو بوتر العود وأثر الأصابع فيقول : " شبه بعضهم الحلق والفم بالناي؛ فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا ، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين أنامله ، اختلفت الأصوات ، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة ". (2)

الدراسات الصوتية عند ابن سينا :

ومن العلماء الأوائل الذين كان لهم أثر في إثراء الدراسات الصوتية الفيلسوف ابن سينا

(370هـ/423هـ)؛ وذلك من خلال رسالته المسماة (رسالة في أسباب حدوث الحروف)، ومن خلال

1- النعيمي، د-حسام سعيد. الدراسات اللهجيّة الصوتية عند ابن جني، دارالرشيد للنشر، بغداد 1980 م ،

كتابه الشهير (القانون في الطب) , وقد تحدث في رسالته عن أجزاء النطق , كالحنجرة ,
واللسان وتشريحاتها , والغضاريف المكونة للحنجرة , وأطلق عليها مصطلحات خاصة بها ؛ ففي
حديثه عن الأسنان , بين لنا أعدادها , وأنواعها , وغير ذلك , وبين لنا سبب حدوث الصوت الإنساني
, وتحدث عن القلع والقرع , وسبب حدوث الحروف , وتحدث عن الحروف في غير النطق العربي
وغيرها . ومع أن الدراسة أقرب للدراسة الطبية التشريحية, إلا أن لها فوائد عظيمة في تحديد
أعضاء النطق والعضلات والغضاريف المكونة لها والمؤثرة في تشكيل الأصوات الحادة والثقيلة
(1).

ابن سنان الخفاجي :

وتحدث ابن سنان الخفاجي (466هـ) في كتابه (سر الفصاحة) عن الأصوات , و يعتقد
مجموعة من الفصول تتعلق بالدراسات الصوتية , فعقد فصلا في الأصوات, وفصلا في الحروف ,
وفصلا في الكلام , وآخر في اللغة , وتحدث عن الجهاز الصوتي عند الإنسان , فتحدث عن الحلق
واللسان والشفتين ومخرج الغنة وأعداد الحروف وصفاتها قال: " ومن الحروف أيضا حروف
الاستعلاء , وحروف الانخفاض , ومعنى الاستعلاء : أن تصعد في الحنك الأعلى. وهي سبعة
أحرف : الخاء والغين والقاف والصاد والظاء والصاد والطاء. وما سوى ذلك من الحروف منخفض " (2)
. وجعل الحديث عن هذه المواضيع, مقدمة للفصاحة التي يثبت بها إعجاز القرآن قال : " ونحن
نذكر قبل الكلام في معنى الفصاحة نبذا من أحكام الأصوات , والتبنيه على حقيقتها, ثم نذكر تقطعها
على وجه يكون حروفا متميزة , ونشير إلى طرف من أحوال الحروف في مخارجها... وهل اللغة في
الأصل مواضعة أو توقيف " (3).

1. ابن سينا . رسالة أسباب حدوث الحروف, تحقيق محمد حسن الطيان , طباعة مجمع اللغة العربية , دمشق ط 1983 , ص 55-65.

2. ابن سنان الخفاجي محمد بن سعيد (ت 466). سر الفصاحة , ط1, دار الكتب العلمية, ص 31 .

3. السابق , ص 14 .

الزمخشري :

وتحدث الإمام جار الله الزمخشري في كتابه (المفصل) عن الأصوات , خاصة في القسم الأخير من كتابه حيث خصصه للحديث عن الدراسات الصوتية , وهو في كلامه في هذا الجانب , نجده متابعا لمن سبقه , خاصة الخليل بن أحمد وسيبويه (1).

السكاكي :

أما أبو يعقوب السكاكي (626) , فقد تحدث في كتابه (مفتاح العلوم) عن الأصوات , ورسم لنا رسما تقريبا لجهاز النطق عند الإنسان تظهر عليه مخارج الحروف من غير الأوتار الصوتية , ولسان المزمار , (2) (3) ودرسته تكرارا لما فعله السابقون .

الدراسات الصوتية عند علماء القراءات وتجويد التلاوة :

اهتم علماء التجويد والقراءات القرآنية بقضايا الدراسات الصوتية واللغوية منذ نشأة هذه العلوم , وعدوها خطوات جليلة تقدم لإتقان المعرفة في كتاب الله من حيث طريقة الأداء , وإمكانياته الصوتية واللغوية حسب الطرق الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم , ولمنع التسبب وترك الأمر للاجتهادات الخاصة , فوصفوا طرق التلقي , وكيفيات الأداء بأنصع عبارة , بالإضافة إلى اشتراط اتصال السند بالمشافهة عبر طبقات القراء وهو ما يطلق عليه بالإجازة .

(1) ابن يعيش . شرح المفصل للزمخشري . ج10, القاهرة , بدون تاريخ , ص125 .

2 السكاكي , أبو يعقوب يوسف (ت626) . مفتاح العلوم , ط القاهرة , بدون تاريخ , ص 5 .

3 وانظر : مرعي الخليل , د- عبد القادر , المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر , ط1 , منشورات جامعة مؤتة 1413 هـ -

وقد ساعد كثير من علماء اللغة أمثال الخليل وسيبويه وقطرب والفراء والكسائي وغيرهم ، هؤلاء المقرئين على استكمال مهمتهم حيث استفادوا من البحوث اللغوية المتعلقة بالأصوات ومخارج الحروف ومباحث الأداء اللغوي من فك وإدغام وتفخيم وترقيق وإمالة وغيرها ، فهذا أبو عمرو الداني أحد القراء والمتخصصين بالقراءات (444ت) ، يعرف علم التجويد في ضوء المعارف النحوية بقوله : " إعطاء الحروف حقوقها ، وترتيب مراتبها ، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله ، وإحاقه بنظيره ، وإشباع لفظه ، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف " (1) .

وفي كتاب (التمهيد في معرفة التجويد) ما يقارب هذا التعريف حيث ورد التالي "إن تجويد القراءة وتحبيرها ، هو تصحيح الحروف ، وتقويمها ، وإخراجها من مخارجها ، وترتيبها مراتبها ، وردها إلى أصولها ، وإحاقها بنظائرها ، من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع ، ولا نقصان يفضي إلى التضييع ، بل بملاحظة الرفق والسهولة ، ومجانبة الشدة والصعوبة ، ومتى ما أخل التالي بشيء من صفاتها فقد أزلها عن حدها وورصفها " (2) .

والتأليف في علم التجويد بدأ مبكرا ، منذ عهد أبي عمرو بن العلاء (ت154 هـ) في رسالة سماها (رسالة في الإدغام الكبير) ، كما نجد في فترة قريبة أيضا ، أرجوزة من تأليف عيسى بن مينا (قالون المدني) (220 هـ) رواية الإمام رافع بن عبد الرحمن المدني (3) ، ثم نجد قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (ت 325 هـ)

أيا قارئ القرآن أحسن أداءه فقد قلت في حسن الأداء قصيدة

1. الداني ، ابوعمر عثمان بن سعيد . التحديد في الإتيان والتجويد وتحقيق د-غانم الحمد ، ط1،الخلود -بغداد ،1988 ، ص70 .

2. الهمذاني ، الحسن بن أحمد (ت 569) . التمهيد في معرفة التجويد ، تحقيق د- غانم الحمد ، ط1، دار عمار ، عمان 1420 هـ ، 2000م ، ص70

3. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، مخطوطات التجويد، مؤسسة آل البيت .

وقد استخدم مصطلح حسن الأداء بدلا من التجويد (1).

وبلغت إحصاءات الكتب المتعلقة بهذا العلم أكثر من مائة (2). وجل الموضوعات التي يثيرها هذا العلم تتعلق بالدراسات الصوتية واللغوية , من مثل أحكام النون الساكنة, والميم الساكنة , والتتوين , وأحكام المدود , والغنة , وحروف المد واللين , ومخارج الحروف , وصفاتها, وأحوالها من تفخيم وترقيق وفك وإدغام , ودراسة ظواهر التماثل والتجانس والتقارب والوقف والابتداء وغيرها , وهم في ذلك ليسوا على وتيرة واحدة, بل لهم آراء متعددة مثلهم مثل اللغويين فيما يتعلق بمفردات الدراسة الصوتية , وربما هذه الأبيات من باب مخارج الحروف توضح نحو من ذلك :

اختلف القراء في المخارج على مذاهب ثلاثة تجي

فهي عند قطرب أربع عشر وعند سيبويه ستة عشر

ومذهب الخليل وابن الجزري قدرها بسبعة وعشر

وهو الذي جرى عليه الآن معظم من يجود القرآن (3).

مما سبق , يتبين لنا أن الدراسات اللغوية والصوتية عند العرب, كانت كثيرة

ومتشعبة , وقد وصلوا فيها شأوا بعيدا, أبهر علماء الغرب في العصر الحديث- كما يرى إبراهيم أنيس-

حيث يقول : " فقد كان للقدماء من علماء العربية, بحوث في الأصوات اللغوية , شهد المحدثون أنها

جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم , وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي, ولا سيما في

الترتيل القرآني , ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية, واتصالهم بفصحاء العرب , كانوا

مرهفي الحس , دقيقي الملاحظة , فوصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة

1. الحمد د- غانم قدوري . الدراسات الصوتية عند علماء التجويد , مطبعة الخلود , بغداد 1986, ص 45 .

2. السابق , ص 25-44 .

3- مراد , عثمان سليمان . السلسيل الشافي في أحكام التجويد الوافي , إعداد وتنفيذ سعيد حسن سمور , مطبعة الشرق ,

عمان , بدون تاريخ , ص 12

المستشرقين وإعجابهم " (1)

ويرى عبد القادر مرعي " أن علماء العربية القدماء, قد بذلوا جهودا طيبة في دراسة جهاز النطق, وذكروا معظم أجزائه , وتوصلوا إلى نتائج جيدة في هذا المجال , تكاد تكون قريبة من نتائج الدراسات الصوتية الحديثة , وما فاتهم في هذا المجال , لا يعود إلى قصورهم , بل يعود إلى عدم توفر الوسائل الآلية والتشريحية في عصرهم ؛ إذ اعتمدوا في دراستهم على الملاحظة الذاتية " (2) . ومع هذا الإطراء, فإن المطلع لا يعدم وجود تفاوت بين القديم والحديث , وقد توجت بواكير هذه الجهود في العصر الحديث على يد العالم الجليل إبراهيم أنيس .

الدراسات الصوتية عند إبراهيم أنيس :

يعد كتاب (الأصوات اللغوية) , باكورة الإنتاج العربي في مجال الدراسات اللغوية في العصر الحديث, الذي اعتمد منهجية علمية في البحث, بالإضافة إلى الدراسة التجريبية, واستخدام المعامل الصوتية كوسائل علمية متطورة في مجال البحث الصوتي , وهو ما لم يتوفر لمن قبله من أهل الدراسات العربية في هذا المجال , وقد ظهرت أولى طبقات الكتاب من المكتبة الإنجلو المصرية سنة 1947 (3), ثم توالى الدراسات في هذا المجال على نحو من دراسة المؤلف, وهو ما يؤكد زيادة إبراهيم أنيس في هذا المجال , منها :

• مناهج البحث في اللغة, للدكتور تمام حسان, حيث خصص فصلا من كتابه لدراسة الأصوات دراسة تجريبية, وظهر سنة 1955 .

• فقه اللغة لمحمد المبارك , وفيه فصل عن الأصوات اللغوية , وقد طبع في دمشق سنة 1960

1. أنيس د- إبراهيم . الأصوات اللغوية , ط5, مكتبة الإنجلو المصرية , القاهرة 1979, ص 5 .

2. مرعي الخليل, د- عبد القادر . المصطلح الصوتي , ص 21.

3 عبد التواب ود- رمضان .المدخل إلى علم اللغة , ص 19 .

• علم اللغة, للدكتور محمود السعران , خصص الباب الثاني للدراسة الصوتية , وطبع الكتاب سنة 1962 .

• جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية, إبراهيم أنيس , وهي مقالة نشرت سنة 1963 بمجلة مجمع اللغة العربية .

• أصوات اللغة , للدكتور عبد الرحمن أيوب , وقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1963 .

• دروس في علم أصوات اللغة العربية , لجان كانتينو , ترجمه صالح القرمادى , ونشر سنة 1966 .

• علم اللغة العام , للدكتور كمال محمد بشر, جعل الحديث عن الأصوات في القسم الثاني من الكتاب, وقد نشر سنة 1970 .

• مقالة بعنوان : مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والطاء, للدكتور رمضان عبد التواب , نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 21 سنة 1971 .

• دراسة الصوت اللغوي, للدكتور أحمد مختار عمر . نشر بالقاهرة سنة 1976 .

• علم الأصوات الفيزيقي (مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام) لمؤلفه, إرنست بولغرام , وترجمة الدكتور سعد عبد العزيز مطلوح , نشر بالقاهرة سنة 1977 .

• دراسة السمع والكلام, للدكتور سعد عبد العزيز مطلوح , نشر في القاهرة سنة 1980 .

• في البحث الصوتي عند العرب , للدكتور خليل إبراهيم العطية , نشر في بغداد سنة 1983 .

• علم الأصوات, لبرسيل مالبرج, ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين , نشر بالقاهرة سنة 1985(1)

• المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر , للدكتور عبد القادر مرعي , نشر جامعة مؤتة سنة 1993 .

1- عبد التواب ود- رمضان .المدخل إلى علم اللغة , ص219 .

- معالم اللهجات العربية , للدكتور محمد عبد الحميد أبوسكين , نشر سنة 1978 بمصر .
 - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , للدكتور رمضان عبد التواب , نشر مكتبة الخانجي سنة 1995 .
 - في صوتيات العربية, للدكتور محيي الدين رمضان . نشر مكتبة الرسالة عمان سنة 1979 .
 - الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني , للدكتور حسام سعيد النعيمي , نشر دار الرشيد ببغداد سنة 1980 .
 - دراسات في فقه اللغة , للدكتور صبحي الصالح, نشر مطبعة جامعة دمشق سنة 1960.
- وبعض هذه المؤلفات يستخدم الدراسات التقليدية في البحث الصوتي . إن ذكر هذا العدد من المؤلفات في مجال الدراسات الصوتية يعد دليلا على فتح المؤلف باب الدراسة لمن جاء بعده على أسس علمية معاصرة , جعلت من الباحثين ينظرون إلى الدراسات العربية القديمة بعين التدقيق و إعادة التفحص .

منهج إبراهيم في الدراسة الصوتية في كتابه (الأصوات اللغوية):

يعد هذا الكتاب باكورة الإنتاج العربي المعاصر في مجال الدراسة الصوتية , وقد أجاد المؤلف في نقل كثير من المصطلحات الصوتية الغربية ومزجها على نحو فريد مع مصطلحات الصوت العربي القديمة, لتظهر الدراسة الصوتية بثوب جديد تتألف فيه ما توصل إليه الغرب مع المشرق العربي في هذا المجال, كل ذلك يظهر من خلال منهجية علمية دقيقة, ظهرت في حسن تقسيم الكتاب وتبويبه, على النحو الذي سنعرضه فيما يلي : فقد قسم المؤلف الكتاب إلى مقدمة , و أحد عشر فصلا :

أما المقدمة, فهي في الحقيقة تمثل مقدمات بعدد الطبعات ؛ فكلما نفذت طبعة , نجد المؤلف يصدر الطبعة التالية بمقدمة جديدة لا تخلو من فائدة أو أكثر, ففي مقدمة الطبعة الأولى والثانية -على

ما يبدو - تعرض لذكر مجموعة من الحقائق الصوتية, نجملها في - التفريق بين مصطلحين غربيين هما البحث الفوناتيكي (phonetics) , والبحث الفنولوجي (phonology), وبين أن الأول يعنى بالأصوات الإنسانية شرحا وتحليلا, ويجري عليها التجارب دون نظر خاص إلى ما تنتمي إليه من لغات, ولا إلى أثر تلك الأصوات في اللغة من الناحية العملية , فهو لهذا عالمي أما الثاني (الفنولوجي), فيعنى كل العناية بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوه وصرفه, ولهذا يمكن أن يطلق عليه علم الأصوات الذي يخدم بنية الكلمة و تركيب الجمل في لغة من اللغات. (1)

ومن المحدثين من يجعل الأول (الفوناتيكي) خاصا بالناحية الوصفية, والثاني (الفنولوجي) خاصا بالناحية التاريخية , أو العكس كما عند دي سوسير (ص 5).

كما تعرض الباحث للحديث عن دقة ملاحظة العرب الأقدمين في دراستهم للأصوات, وحسبهم المرهف في إدراك مخرجها وصفاته, و وصفهم لها وصفا دقيقا معبرا عن أحوالها بأوضح عبارة , و يشير إلى أن الخلل الذي أصاب الدراسة الصوتية عندهم , نتج عن المتأخرين منهم , الذين رددوا كلام المتقدمين دون وعي ,

وروا تلك البحوث الصوتية بطريقة مبتورة مضطربة ؛وذلك لأن الأصوات اللغوية قد أصاب بعضها تطورا بفضل عوامل متعددة لم يلحظوه, ولم يفتنوا له . (ص 5)

كما أبدى الباحث إعجابه الشديد بالدراسات الغربية الحديثة, وعدها نوعا من السحر قال: " فلما كان العصر الحديث, واتصلت ثقافتنا بثقافة أوروبا , ورأينا لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية التي يخيل للناظر إليها أنها نوع من السحر, بدأ بعض أعضاء البعثات اللغوية يعنون بهذا الأمر, ويحاولون الانتفاع به في خدمة اللغة العربية . (ص 5)

وفي مقدمة الطبعة الثالثة, يبين المنهج الذي سلكه في الكتاب, من اتخاذه طريقا جديدا مستقلا في معالجة الأصوات, يجمع بين آراء القدماء والمحدثين, ويقارن بينهما كلما اقتضت الضرورة لذلك,

كما أنه حاول شرح مصطلحات القدماء وتعريفاتهم بصورة واضحة في ضوء الدراسات الحديثة , ثم بين أن

1- ص4. وانظر: بشرى- محمد كمال . علم اللغة العام، دار المعارف 1986 ص28

النصوص المختارة، والنماذج التي انتقاها، تغطي مساحة ما بين القرن الثاني والتاسع من الهجرة . (ص3) وفي مقدمة الطبعة الرابعة و الخامسة , يستبشر المؤلف خيرا حيث يقول : " يبدو أن الدراسة الصوتية للغة، قد أخذت طريقها إلى كلياتنا الجامعية وئيدة الخطا , وأن الدارسين الآن, يقبلون عليها في ثقة واطمئنان . " (ص1) . ونراه هنا أيضا, يبين أهمية دراسة الأصوات في المجال الإعلامي, ومجال تعلم اللغات, ويتحدث عن إقبال طلبة كليات الطب في الأذن والأنف والحنجرة على التماس طرفا من الدراسة الصوتية . (ص1)

الفصل الأول : عنون المؤلف لهذا الفصل بـ (ظاهرة الصوت) , وأنت تقرا في هذا الفصل, تجد نفسك أمام مثقف واسع الثقافة , أوتي من كل فن بطرف خاصة في مجال العلوم البحتة, كيميائية وفيزيائية مما يخدم الدراسة الصوتية, فنجده يتحدث عن الصوت من حيث كنهه, وماهيته, ومصطلحاته الخاصة, كالشدة والدرجة والنوع , والوسط الذي يحتاجه للانتقال , وسرعته وشكل الموجة الصوتية, وشدته, والعوامل المؤثرة فيه, مستخدما الصور التوضيحية للأذن , و واضعا عليها الأجزاء المعروفة عند علماء التشريح , يقول في هذا المجال : " وتتوقف شدة الصوت وارتفاعه , على بعد الأذن من مصدر الصوت , فعلى قدر قرب الأذن من ذلك المصدر, يكون وضوح الصوت وشدته , كما تتوقف شدة الصوت على سعة الاهتزازات: وهي المسافة المحصورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز - وهو في حالة سكون - وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذه الاهتزازة , فعلى قدر اتساع هذه المسافة, يكون علو الصوت ووضوحه ". (ص6)

ويطل من خلال هذا الفصل بإطلاقات قيمة ,من خلال الحديث عن الصوت الإنساني, ومصدره, وعلاقة وترى الحنجرة في إحداثه , وطول الوتر الصوتي الذي يصل إلى (23-27 ملليمتر),

وعدد الذبذبات في الحجرة , في الكلام البين الواضح , وفي حالة الغناء , والتفريق بين أصوات الرجال والنساء , وكيفية حدوثه, وأهمية السمع في إدراكه , وأين مكنن جماله يقول : " ومن الحقائق العلمية التي تدعو إلى الدهشة والعجب, أن علماء التشريح لم يلاحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني , فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول , لا تكاد تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية , فليس في حنجرة المطرب أي عنصر مادي تمتاز به على حنجرة غيره من الناس , وإنما الفرق في الموهبة التي أختص بها , وهي سيطرته على عملية التنفس, فهو أقدر من غيره على تنظيم تنفسه, والسيطرة على الهواء المندفع من الرئتين, والقدرة على تكيفه , وإخضاعه لنظام خاص في جريانه من الرئتين , حتى يصدر من الفم أو الأنف . هذا هو كل شيء في الغناء , أو ما يسمى جمال الصوت . " (ص9)

هذه الدراسة المستفيضة لجهاز السمع , يجعلنا نتحسس الفارق بين الدراسة القديمة عند اللغويين التي لم تول السمع أهمية كبيرة, ودراسة البلاغيين التي توقفت عند عد الأذن معيارا للتمييز بين فصيح الكلمة في بعض جوانبها, وبين ما خرج عن حد الفصاحة , فلا زالت كتب الأقدمين من البلاغيين تشير إلى أن فصاحة اللفظ المفرد تتم ببعده عن الكراهية في السمع ويستشهدون بقول المتنبى :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشي شريف النسب (1)

وبين ما وصلت إليه الدراسة الحديثة عند إبراهيم أنيس .

نعم هناك دراسة للأذن نجدها عند الفارابي, وابن سينا , والفخر الرازي, لكنها لم تصل إلى الدقة المعاصرة, فبقيت في كتبهم تحت درجة التكهن والتخمين , يظهر ذلك فيما نجده في كتاب (التفسير الكبير) للفخر الرازي عند حديثه عن الصوت و كيفية حدوثه قال: " ذكر الرئيس أبو علي بن سينا في تعريف الصوت: أنه كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع , وأقول (أي الرازي) : إن ماهية الصوت مدركة بحس السمع , وليس في الوجود شيء أظهر من المحسوس حتى يعرف

المحسوس به , بل هذا الذي ذكره, إن كان ولا بد فهو :إشارة إلى سبب حدوثه لا إلى تعريف ماهيته " ويعترض الفخر أيضا, على أبي إسحاق النظام بقوله: " يقال أن النظام كان يزعم أن الصوت جسم , وأبطلوه بوجوه منها : أن الأجسام مشتركة في الجسمية وغير مشتركة في الصوت , ومنها: _____

1. الخطيب القزويني , جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (666-739) , الإيضاح, تحقيق لجنة من اساتذة الأزهر, مطبعة السنة المحمدية - القاهرة, بدون تاريخ , ص4

أن الأجسام ومنها :أن الجسم باق, وليس الصوت كذلك " (1) وعند أخوان فقد ذكروا تموج الهواء, ودخوله إلى الصماخ ,ثم انتهاؤه إلى مؤخرة الدماغ , حيث يؤديه الدماغ إلى القلب, فيفهم القلب من هذه الحاسة ما أدته إليه (2)

الفصل الثاني :

يصدر المؤلف هذا الفصل بعنوان (أعضاء النطق), وهو لعمرك التسلسل المنطقي في الانتقال من المهم إلى الأهم , موشحا غرة الفصل برسم تشريحي لجهاز النطق عند الإنسان , موضحا عليه أجزاءه التي استقرت في عالم الطب والتشريح, فيوضح أجزاء النطق مبتدئا ب :

- القصبة الهوائية ,
- موضع الوترين الصوتيين (الحنجرة)
- فتحة المزمار
- الحلق
- اللسان أقصاه ووسطه وطرفه
- الحنك الأعلى أقصاه ووسطه وأصول الثنايا
- الأسنان العليا والسفلى
- الشفتان العليا والسفلى
- الفراغ الأنفي
- الرتتان

1. الفخر الرازي , أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي . (545-607) , التفسير الكبير , ط3, دار إحياء التراث -بيروت , بدون تاريخ و ج 1, ص29 .

2. انظر عبد القادر مرعي المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر ص76) ."

ثم يبدأ بتفصيل الحديث عن هذه الأعضاء بدقة متناهية , معلقا أحيانا على مواقف القدماء

منها.

وبعد الفراغ من وصف أعضاء النطق القديمة بطريقة حديثة وهي: (القصبة الهوائية, والحنجرة, والحلق, واللسان, والحنك الأعلى, والفراغ الأنفي , والشفتان) , ينبه إلى عضو لم يفتن إليه القدماء, هو : الرئتان يقول : " تلك هي أعضاء النطق التي يشار إليها دائما في دراسة الأصوات وعملية النطق, على أنه من الواجب أن يضاف إليها عضو آخر, لا يقل أهمية ,إن لم يكن أكثر منها أهمية, وهو الرئتان ؛ فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس, وبغير التنفس لا يكون الكلام , بل لا تكون الحياة نفسها , فبعض الأعضاء التي سبقت الإشارة إليها, قد يصيبه اضطراب أو خلل , ومع هذا, فتظل عملية النطق تؤدي في صورة من الصور , ولكن الرئتين لا يمكن الاستغناء عنهما في النطق .

(ص 19)

بهذه الصورة يتضح إدراك المحدثين إلى أعضاء في جهاز النطق لم تكن مدركة عند القدماء, كالوترين الصوتيين, وفتحة المزمار, والرئتين . ثم يستكمل حديثه عن بعض الصفات التقابلية المتعلقة بالأصوات, كالجهر, والهمس, والشدة ,والرخاوة , والأصوات الساكنة , وأصوات اللين . وتظهر لنا هنا جوانب من الاختلافات بين علماء التجويد, والدراسات الحديثة , فعلى سبيل المثال : يعد إبراهيم أنيس الأصوات المجهورة خالية من القاف والطاء , ويضم الحرفين إلى الأحرف المهموسة , في حين يثبتها علماء التجويد في المجهورات, ويخرجانها من المهموسات , فالمجهورات -عند إبراهيم- ثلاثة عشر صوتا, يضاف إليها كل أصوات اللين : (ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن ء و ي), وعند علماء

التجويد تسع عشرة صوتا هي الآتية : (ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن ء و ي ق ط ا) وهي مجموعة في قولهم : (عظم وزن قارئ ذي غض جد طلب) .

والمهموسات -عند إبراهيم - اثنا عشر حرفا هي : (ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك هـ) (ص 21) , في حين أن المهموسات -عند علماء التجويد- عشرة أحرف هي : (ت ث ح خ س ش ص ف ك هـ) , وهي مجموعة في قولهم : (حثه شخص فسكت) (1) .

1. مراد , عثمان سليمان . السلسيل الشافي , ص 28 .

ويعود الخلاف هنا , إلى التباين في تعريف الجهر والهمس , فالصوت المجهور -عند إبراهيم- : هو الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان .

والمهموس - عنده- : هو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان , ولا يسمع لهما رنين حين النطق به (ص 20) . في حين أن الجهر - عند علماء التجويد- هو : انحباس النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج . والمهموس -عندهم- هو : جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج (1) .

ومن خلال الاستقراء , يتبين أن القدماء لم يكونوا على اطلاع في وجود الوترين الصوتيين المعيار الحقيقي لقياس الجهر والهمس ؛ لهذا لم يكن تعريفهم لهذين المصطلحين دقيقا .

وفي هذا الفصل أيضا , نجد المؤلف يبين المصطلح الصوتي القديم , وما يقابله عند المعاصرين , فالصوت الشديد قديما يقابله الصوت الانفجاري (plosive) , والصوت الرخو قديما يقابله الصوت الاحتكاكي (fricative) (ص 24) والأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة فلا هي بالشديدة , ولا هي بالرخوة , سماها المحدثون الأصوات المائعة (liquids) , وهي تشمل الحروف (ل ن م ر / ع) وزاد عليها الأقدمون حرف العين (ص 25) . وأصوات اللين يقابلها عند القدماء : الفتحة , والضمة , والكسرة , وكذلك ما سمّوه الألف والواو والياء . (ص 28)

الفصل الثالث : مقاييس أصوات اللين :

في هذا الفصل, تظهر جهود المؤلف, من خلال نقل وتوضيح المقاييس العالمية لأصوات اللين موضحا عناية البروفسر (دانيال جونز) من جامعة لندن بها, وما توصل إليه من خلال تجارب حية, وهي عنده ثمانية مقاييس تبدأ بالصوت (i وتنتهي بالصوت u), ومصطلح اللين -عنده- يشمل ما اصطلح عليه قديما على أنه مد , وهي حروف العلة الثلاثة إذا جانست ما قبلها من الحركات فهي عنده أصوات لين, أو وقع ما قبلها مفتوحا, وهي عنده أشباه لين .

1. شكري, د. أحمد وزملاؤه. المنير في أحكام التجويد , إعداد لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على الكتاب والسنة , ط5, المطابع المركزية -عمان

1425-2004م ص127

ومما لا يخفى أن الألف لا يقع ما قبلها إلا مفتوحا لذلك تسمى عند القدماء حرف مد ولين (1). ويشير إلى التوافق بين القدماء والمحدثين في النظرة إلى أصول اللين, وأنها حركات مشبعة من الفتحة والضمة والكسرة يقول: " نرى أن بعض القدماء قد أحس كما يحس المحدثون بأن الفرق بين الفتحة وما يسمى بألف المد, لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية , وكذلك الفرق بين ياء المد, وواو المد , إذا قورنتا على الترتيب بالكسرة والضمة , فما يسمى بألف المد, هي في الحقيقة فتحة طويلة , وما يسمى بياء المد ما هي إلا كسرة طويلة , وكذلك واو المد تعد من الناحية الصوتية ضمة طويلة , فكيفية النطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى ألف المد مع ملاحظة فرق الكمية بينهما) (ص38)

كما أشار إلى أن نسبة شيوخ أصوات اللين في اللغات, أكبر من الأصوات الساكنة (ص30), وتحدث عن الإمالة, وأنواعها , ودرجاتها, والإشمام, وما يتفرع عنهما, ويناقش بعض مواقف القدامى منها من القراء واللغويين كابن جني .

الفصل الرابع:

تبرز جهود المؤلف في هذا الفصل بالحديث عن الأصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها ,

فيذكر الأصوات الشفوية وهي الباء والميم فالباء :

صوت شديد مجهور , يتكون بأن يمر الهواء أولاً بالحنجرة, فيحرك الوترين

الصوتيين , ثم يتخذ مجراه بالحلق , ثم الفم ,حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً

,فإذا انفجرت الشفتان فجأة , سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى الباء (ص 45). ثم حرف

الميم ,وهو : صوت شفوي متوسط مجهور .

1. شكري, د. أحمد وزملاؤه . المنير في أحكام التجويد , ص 70

و الأصوات الشفوية الأسنانية , وحرفها : الفاء, وهو : صوت شفوي رخو مهموس , ثم

يتحدث عن الأصوات متقاربة المخارج , ويطلق عليها المجموعة الكبرى وهي : (ذ ث ظ / د ض ط

/ل ن ر / ز س ص) , ووجه الشبه فيها, أن مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان بما فيه طرفيه

والثايا العليا بما فيها أصولها .

وتحدث عن الأصوات متقاربة المخارج , وأصوات وسط الحنك الذي يخرج منه الجيم والشين,

وأقصاه, وهو مخرج الكاف والقاف .

والأصوات الحلقية وهي: (غ خ ع ح ه ء) (ص 87) , ويبين صفات كل حرف من هذه

الحروف, وكيفية خروجه , وما حدث عليه من تطور عبر الزمن , ويناقش أحوال حرف الضاد مناقشة

مطولة, استمرت لتأخذ حيز ثلاث عشرة صفحة , ليصل في النهاية إلى أن هذا الحرف ينطق به على

غير طريقته الأولى, وغالباً ما يختلط بحرف الظاء , وينقل عن مكي الصقلي في القرن الخامس الهجري

ما يشير إلى هذا الخلط بين هذين الصوتين حيث يقول : " هذا رسم قد طمس, وأثر قد درس ,من

ألفاظ جميع الناس خاصتهم وعامتهم, حتى لا تكاد ترى أحد ينطق بضاد , ولا يميزها من ظاء , وإنما

يوقع كل واحدة منهما موقعها, ويخرجها من مخارجها الحنق الثاقب إذا كتب أو قرأ القرآن لا غير, فأما

العامة, وأكثر الخاصة , فلا يفرقون بينهما في كتاب ولا قرآن " (ص 60) . ونطق الضاد القديمة كما

يتخيلها إبراهيم أنيس على النحو الآتي : (أن يبدأ المرء بالضاد الحديثة , ثم ينتهي نطقه بالظاء . فهي

إذن مرحلة وسطى، فيها شيء من شدة الضاد الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية (ص 49) .

الفصل الخامس :

تكمن جهود الباحث في هذا الفصل ، بمناقشة مجموعة من الملاحظات حول دراسة القدماء، منها: نسبة ما ورد عن الخليل من العلوم إليه والتي نقلها عنه تلميذه سيبويه ، وترديد من جاءوا بعد سيبويه من شراح كتابه أمثال السيرافي والرماني لأفكاره وعباراته ، كذلك الحال من جاءوا بعده، فقد نقلوا التعاريف والعبارات بنفس معناها ومضامينها، من ذلك ما جاء في كتاب (سر الصناعة) لابن جني في القرن الرابع ، وما جاء في (المفصل) للزمخشري في القرن السادس ، وما جاء في كتاب (النشر) لابن الجزري في القرن التاسع ، فليس في هذه الكتب شيئاً جديداً أضافه أصحابها على كلام سيبويه في أصوات اللغة سوى بضعة مصطلحات ترددت في كتبهم .

ويناقش المؤلف بعض المصطلحات القديمة، مثل الأصوات اللهوية، ويفضلها على الاستخدام الجديد لهذا المصطلح تحت اسم الأصوات الطبقيّة، كذلك الحال يفضل مصطلح الشجرية، على مصطلح الأصوات الغارية، يقول : " وبعض هذه المصطلحات على كل حال له ما يبرره ويمكن أن يستغل في الدراسات الصوتية الحديثة، فإذا سميت لنا حروف أقصى الفم كالقاف والكاف والجيم القاهرية الخالية من التعطيش بالأصوات اللهوية نسبة إلى اللهاة ، فلا بأس بمثل هذه التسمية ، وهي تغنيا حينئذ عن المصطلح الذي ابتكره بعض الدارسين الآن حين سماها بالأصوات الطبقيّة دون أن يكون لكلمة الطباق أي معنى يتصل بأجزاء الفم " . (ص 107) ويعارض استخدام المصطلح القديم (الأصوات النطعية)؛ بسبب مجانبته الصواب لما يدل عليه لغة قال : " أما تسميتهم (د ط ت) بالأصوات النطعية ، فيبدو أن هذا المصطلح قد جانبه التوفيق " (ص 107) . كذلك يعتبر استخدام مصطلح الأصوات (الأسلية) للحروف (س ص ز) لا بأس به ، ويعترض أيضاً على استخدام مصطلح (الأصوات اللثوية) التي تطلق على (ذ ث ظ)؛ لأن اللثة لا تقوم معها بأي دور .

مناقشة محاضرة الألماني (شاده) حول سيبويه وأصوات اللغة :

وفي هذا الفصل أيضا, يتناول المؤلف المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الألماني (شاده), المدرس في كلية الآداب في جامعة دار العلوم, ويناقش إبراهيم أنيس المحاضر مناقشة علمية, يوافقه أحيانا, ويختلف معه أحيانا أخرى حول آراء سيبويه في الأصوات اللغوية, بطريقة أثرت البحث العلمي في الدراسات الصوتية, خاصة في موضوع المصطلحات, ففي الوقت الذي يطلق فيه سيبويه مصطلح (المخرج) على موضع تولد الصوت يسميه شاده بـ(الموضع): إذ يلحظ فيه شاده أن عضوين من أعضاء النطق يتصلان في أثناء النطق بالصوت اتصالا محكما, بحيث يحبس النفس لحظة, ثم ينفرجان فجأة مع الصوت (الشديد): كالدال والتاء والكاف, وطورا يكون اتصالهما بحيث يترك بينهما منفذ يسمح بمرور الهواء مع الصوت (الرخو): كالدال والزاي والسين.

أما المخرج عنده (أعني شاده), فهو: الطريق الذي يتسرب منه النفس إلى الخارج.

وحلا لهذا الخلاف في التسمية, ودفعاً للإشكال, يقترح المؤلف مصطلح (المجرى) للطريق

الذي يتسرب فيه النفس إلى الخارج, وهو ما سار عليه في كتابه الأصوات اللغوية.

عد سيبويه حروف: القاف والطاء والهمزة, من الحروف المجهورة, وقد أثبتت التجارب أنها

مهموسة, كما هو الحال عند العلماء الأوروبيين (119ص) وقد أكد إبراهيم صحة ما ذهب إليه

الغربيون في هذه المسألة.

وفي ثنايا المناقشة يؤكد إبراهيم كثيرا من القضايا التي ذهب إليها سيبويه و صحة مذهبه في

أمور عدة منها:

- ترتيب أصوات الحلق على ثلاثة مخارج (هـ ا ع ح ا غ خ).
- التوافق في وصف حروف المد واللين مع الدراسات الحديثة.

- التوافق في وصف أصوات الفم .
- وصف اللام بأنها صوت منحرف , على حين سماها المحدثون صوتاً جانبياً , والمعنى واحد ؛ فرغم اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا معها نجد ان النفس يتسريمن جانبي الفه على الخارج, فكانه قد انحرف عن طريقه .(ص118)
- التوافق في وصف الراء, في أنه حرف تكرر , و وصف بعض الحروف بالإطباق , ووصف الشين بأنها حرف نقشي . (118- 119 ص)
- ويخلص إبراهيم في نهاية حديثه عن سيبويه , بعقد مقارنة بين أربعة كتب عالجت موضوع الأصوات , يضعها جنبا إلى جنب مع كتاب سيبويه لتسهيل اكتشاف تردد الرأي نفسه بالرغم من تباعد تواريخ إنتاج وتأليف هذه الكتب, وهي :

- ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) .
- ابن يعيش في كتابه (شرح المفصل) .
- ابن الجزري في (النشر في القراءات العشر) .

مناقشة المؤلف آراء ابن سينا في رسالته المسماة بـ (أسباب حدوث الحروف) : في هذا الفصل أيضا يناقش المؤلف جهود ابن سينا في الدراسات الصوتية ,ويظهر جهده في تفسير مصطلحاته الصوتية في ضوء الدراسات الحديثة مثل :

- الصوت الثقيل الحاد ,قال إبراهيم : (ولعله يقصد درجة الصوت (pitch)
- خفوت الصوت وجهره قال إبراهيم : (ولعله قصد سعة الموجة (amplitude) .
- الصوت الأملس والصلب والمتخلخل قال إبراهيم : (ولعله يريد بهذا نوع الصوت ()

quality

- المحابس : ويقصد بها المخارج عند القدماء
- المفرد: وهو الصوت الشديد عند سيبويه أو الانفجاري (plosive) عند المحدثين .
- الصوت المركب : وهو الرخو عند سيبويه ,والاحتكاكي (fricative) عند المحدثين .

- الغضروف عديم الاسم من غضاريف الحنجرة: وهو لسان المزمار الآن (epiglottis) ومهمته سد طريق التنفس أثناء البلع .
- الغضروف الترسى أو الدرقة : وعند المحدثين (thyroid)
- غضروف الطرجهارى : وعند المحدثين (arytenoids) وهذه التسمية لأنه يشبه الفنجان .
- الغضروف فوقاني : وهو أول جزء بالقصبة وسماه المحدثون (cricoid) .

الفصل السادس : طول الصوت اللغوي :

ويقصد به الزمن الذي يستغرقه النطق بالصوت مقدرا بأجزاء من الثانية . وجهود المؤلف هنا, تكمن في ترتيب الأصوات من حيث الطول والقصر, والمؤثرات في عملية التطويل , ويرى المؤلف بناء على دراسات تجريبية ما يلي :

- أصوات اللين أطول من الصوامت.
- الطول الطبيعي لأصوات اللين تنازليا هي : الفتحة ثم الكسرة والضمة .
- ثم من السواكن أطولها: أصوات الأنف : النون والميم.
- ثم الصوت الجانبي المنحرفة اللام .
- ثم الأصوات المكررة الراء.
- ثم الأصوات الرخوة ذات الصفير والحفيف .
- وأقل الأصوات طولا ,الأصوات الانفجارية الشديدة .

ويقسم أصوات اللين من حيث الطول إلى : قصير ,متوسط, طويل . (ص154-159)

أما العوامل المؤثرة في طول الصوت فتعود إلى :

- النبر : وهو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد , ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع . (169 ص) .

- الإخفاء والإظهار والإدغام والقلقلة والإقلاب، والمدود بأنواعها المتصل والمنفصل واللازم الكلمي والحرفي المثقل والمخفف، والعارض للسكون، والبديل كما هو مقرر عند علماء التجويد، وهذا النوع من الإطالة لا يراعى إلا في القراءات القرآنية.

وتقصير الصوت يتم من خلال :

- الجزم مثل : قام ، لم يقم ،
- الروم : وهو الوقف على آخر الكلمات بنفس الحركة بعد تقصيرها إلى صوت لين قصير جدا لا يكاد يسمع إلا عن قرب .

وفي هذا الفصل أيضا ، يتحدث المؤلف عن مصطلح (المقاطع الصوتية) التي بها يعرف نسيج الكلمة في لغة من اللغات، والتي تبنى عليها الأوزان الشعرية أحيانا.

ويقسم المقاطع إلى نوعين : المقطع المتحرك (open) ، وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل . و المقطع الساكن (closed) وهو ما ينتهي بصوت ساكن . ويمثل لكلا النوعين بكلمة فتح (فعل ماض) وكلمة فتح (مصدر الفعل) ، فالمقطع الأول مفتوح والمقطع الثاني مغلق . ويتحدث عن أنواع النسيج في المقاطع العربية وهي خمسة :

1. صوت ساكن + صوت لين قصير مثل بوعليها فتحة أو ضمة أو كسرة .

2. صوت ساكن + صوت لين طويل مثل با بو بي .

3. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن مثل : كم ، هم ، لم .

4. صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن مثل : قال ، قيل ، بوع .

5. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان مثل : قمتو نمت ، بعت .

وهذه الأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع، هي الأكثر شيوعا في الكلام العربي . أما الرابع

والخامس فقليل الشيع .

والمراد بصوت اللين القصير عنده ، ما تعارف عليه عند القدماء من الفتحة، والضمة و

والكسرة .(ص 169-0159) .

ويرى المؤلف أيضا : أن الكلمة العربية مهما تبعها من لواحق (suffixes) أو سوابق (prefixes) , لا تزيد عدد مقاطعها عن سبعة مقاطع , مثل : (أنلزمكموها, فسيكفيكمهو) .
(ص162)

ولم يشر المؤلف إلى معرفة العرب لمصطلح المقطع الصوتي , علما أن الفارابي أشار إلى ذلك بقوله : " وكل حرف غير مصوت (أي صامت) اتبع بمصوت قصير به , فإنه يسمى المقطع القصير ,والعرب يسمونه الحرف المتحرك . (1)

النبر: وتحدث عن النبر وعرفه على انه نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد ويتم من خلال الضغط على مقطع خاص من مقاطع الكلمة وهو ذو أثر حساس في بعض اللغات الأجنبية كالإنجليزية حيث الاختلاف في موضع النبر في بعض الكلمات يحدد نوعها اسما أو فعلا, كما في كلمة (augment) وفي كلمة (Torment) , فإذا كان موضع النبر على المقطع الأول , فهي اسم , وإذا كان النبر على المقطع الثاني , فهي فعل , (ص 171) . أما بالنسبة للعربية فيقول المؤلف " ليس لدينا دليل يهدينا إلى موضع النبر في العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى ؛ إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء " (ص171) .

وقد حاول المؤلف استخلاص مواطن النبر العربي , وجعله على النحو الآتي :

ينظر أولا إلى المقطع الأخير, فإذا كان من النوعين الرابع والخامس , كان هو موضع النبر , وإلا نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير, فإذا كان من النوع الثاني أو الثالث , حكمنا بأنه موضع النبر , أما إذا كان من النوع الأول , نظر إلى ما قبله فإن كان مثله أي من النوع الأول أيضا , كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة . ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا في حالة واحدة وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول ... ولحسن الحظ لا تختلف معاني الكلمات العربية ولا استعمالها باختلاف مواضع النبر منها (ص172-174) .

ويتحدث تحت عنوان موسيقى الكلام . intonation- ويضرب مثلا باللغة الصينية حيث أن طريقة الأداء (أي درجة الصوت) تجعلها تختلف من معنى إلى آخر , فكلمة (فان) باللغة الصينية, تؤدي ستة معان هي : نوم, يحرق ,شجاع, واجب ,يقسم , مسحوق , وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة .

1. انظر المصطلح الصوتي عند العرب عبد القادر مرعي ص196) .

موسيقى الكلام :

والتسلسل في درجة الصوت , يخضع لنظام خاص يختلف من لغة إلى أخرى, كما أن البحث عن نظام (درجات الصوت) في العربية لم يتم بعد , و هو يحتاج إلى جهود من أهل الموسيقى العرب أهل الاختصاص . (ص175)

الفصل السابع :

يدور هذا الفصل حول مصطلح (المماثلة) وهو ما يرصد عملية التأثر والتأثير الواقعة بين الحرفين المتجاورين لغرض تسهيل النطق دون المساس بالمعنى , وقد درسه السابقون تحت عدة مسميات منها : الإبدال من تاء الافتعال , والمضارعة , والتقريب , والإدغام . ويصطلح المحدثون على أنه: إذا تأثر الحرف الأول بالثاني فهو المماثلة الرجعية (Regressive) , وإذا تأثر الحرف الثاني بالأول فهو المماثلة التقدمية (progressive) , وقد يقع النوعان معا (تقدمي رجعي كما هو الحال في من الإبدال من تاء الافتعال إذا كانت فاؤها دالا أو ذالا أو زيا) , فكلمة اذكر أصلها : اذتكر, ثم قلبت التاء دالا؛ لمناسبة الحرف المجهور باعتبار أن الدال مجهور التاء المهموسة, وهذا هو التأثير التقدمي . ثم قلبت الذال دالا, وأدغمت بالدال المنقلبة عن التاء, وهذا هو التأثير الرجعي .

والتأثر قد يحدث بين صوتين مجهور ومهموس مثل : ازدان , أو في انتقال مجرى الهواء من الفم .إلى الأنف أو العكس مثل: (اركب معنا) و (فإن لم تفعلوا) , أو بانتقال المخرج مثل : (أنبئهم) . وأعلى درجات التأثر: أن يدغم الحرف بالحرف مثل: (من يقول) . (ص178-1206)
وعلماء القراءات كما هو معلوم أسهبوا في الحديث حول هذه الظواهر من خلال الحديث عن الأحكام التي تتتاب الحروف .

الفصل الثامن :

محور جهود المؤلف في هذا الفصل , تدور حول دراسة وصفية لكثير من الحروف العربية وكيفيات نطقها المعاصر المنحرف عن الأصل . وقد جعل العنوان العام لهذا الفصل : (التطور التاريخي للأصوات) , وهو رصد دقيق لما جرى ويجري للأصوات اللغوية من انحرافات وتغيرات تقع في المجتمعات , وبحث المؤلف هنا , ينم عن إدراك عميق , وحس مرهف , وسعة معرفة . ومن أمثلته على هذا التطور نذكر الآتي :

- انتقال مخرج الضاد إلى الدال , وأصبحنا لا نفرق بينهما إلا في الإطباق .
- القاف والطاء أصبحا مهموسين بعد أن كانا مجهورين .
- الجيم الفصيحة أصبحت الجيم القاهرية الخالية من التعطيش أو الجيم الشامية المشبعة بالتعطيش .
- نطق الذال دالا , وأحيانا زايا .
- نطق الثاء تاءا .
- نطق الظاء العربية ضادا وأحيانا زايا .

- نطق القاف همزة أو جيما .

المخالفة :

والمسألة الثانية في هذا الفصل ,تتعلق في حديثه عن مصطلح **المخالفة** (**dissimilation**) وهي : اشتغال الكلمة على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين , وغالبا ما يتم التحول إلى صوت لين أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بصوت اللين ولا سيما اللام والنون ؛ وذلك لتقليل المجهود العضلي عند النطق وتسهيله . ومن الأمثلة على ذلك :

- الطح : طحا .

- المَحّ : الماح .

- الجبّ : الجوب .

- عسّ : العوس .

- زحّه : زاح .

ومن الأمثلة على القلب إلى أشباه حروف اللين :

- تحدّس : تحندس

- الريسّ : الرسم

- العباسّ : العنيس . والمعنى واحد في الأصل وما قلب إليه اللفظ فالرس والرسم الدفن ,

والعباس والعنيس الأسد ... (ص210-213)

وقد أشار المؤلف إلى جهود السابقين في الحديث عن المخالفة , ويرى أنهم لم يولوها ما

تستحق من العناية , واضطرابهم في تفسيرها , وقد عدها سيويوه من باب الشذوذ قال " باب ما شذ

فأبدل مكان اللام لكراهية التضعيف وليس بمطرد...كتسريت وتظنيت وتقصيت . " (ص211)

وأصلها تسررت وتظننت وتقصصت .

الفصل التاسع :

عنون المؤلف لهذا الفصل , بـ (الطفل والأصوات اللغوية) وتحدث فيه عن تطور الصوت اللغوي عند الطفل , ويشير إلى الأصوات السهلة المهموسة أو المجهورة التي يبدأ بها الطفل , كما يشير إلى ظاهرة سقوط بعض الأصوات عند الأطفال , و ظاهرة بتر المقاطع وظاهرة التكرار في لغة الطفل .

ثم يتحدث عن قدرة الطفل على التمييز بين نغمة التدليل , ونغمة الزجر , كما يشير إلى بعض القضايا الفسيولوجية عند حديثه عن طول الشدق عند الطفل , الذي يبلغ 45مليمترًا ثم تزيد إلى 60 مليمترًا في الشهر الثالث وإلى 75 في آخر العام لتصل إلى 99 بعد سن الخامسة وهو نفس الطول عند الكبار .(ص215 إلى 229).

الفصل العاشر : (عوامل تطور الأصوات اللغوية)

وتكمن جهود الباحث في هذا الفصل , ببيان أهم العوامل التي تؤدي إلى تطور الأصوات

اللغوية , ويعزي ذلك - كما عزاها جمهور العلماء - إلى :

- اختلاف أعضاء النطق
- البيئة الجغرافية
- الحالة النفسية
- نظرية السهولة
- نظرية الشبوع
- مجاورة الأصوات

الفصل الحادي عشر : (أثر العادات الصوتية في تعلم اللغات الأجنبية)

في هذا الفصل الأخير من الكتاب , يتحدث المؤلف عن مصطلح السليقة الذي يسميه بالعادات الصوتية , أو الصفات الكلامية فيقول : والمرء يتكلم وينطق بأصوات خاصة , ولها مميزاتها, ويكون جملة بطريقة خاصة لها قواعدها , ويختلف ذلك من لغة لأخرى , وهو لا يشعر شعورا إراديا , ولا يفكر حين الكلام في كيفية النطق بأصواته , أو تكوين جملة , بل يصدر كل هذا عنه دون تكلف أو تعمد , وذلك ما سماه القدماء (التكلم بالسليقة) . ويسمونها المحدثون ب (العادات اللغوية) و يسميها المؤلف (بالصفات الكلامية) , وهي عنده تبدأ بالتكون عند الفرد, وترسخ قدمها كلما تقدمت به السن , وهي في الأطفال مرنة قابلة للتغير والتشكل , ولكنها في الكبار صعبة التغير إن لم يكن هذا مستحيلا . وتكمن مظاهر العادات اللغوية عنده في ثلاثة مظاهر :

- بنية الكلمة (Morphology) . ويقصد به المستوى الصرفي والاشتقائي
- تكوين الجملة (Syntax) . ويقصد به المستوى النحوي , من حيث نظام الجمل وترتيب أجزائها وأثر كل جزء في الآخر
- الصفات الصوتية (phonetics) . ويقصد به الأصوات , و'مكانيات النطق .

الخاتمة وأهم النتائج

بعد سبر غور الكتاب , وتحليل محتواه والنظر في ثناياه , أمكنني التوصل إلى مجموعة

من الحقائق والنتائج وتمثل بالآتي :

- إن جهود إبراهيم في مجال الدراسات الصوتية تعد فاصلا بين حقبتين زمنيتين , الدراسات في ضوء المناهج القديمة , والدراسات في ضوء المناهج الحديثة .
- استلهم المؤلف لجهود السابقين في مجال الدرس الصوتي العربي , ودراستها في ضوء ما توصل له الغرب في عهد المؤلف من تجارب صوتية .
- اعتماد المنهج التحليلي التجريبي والأدوات المخبرية الحديثة , وتطبيقها في مجال دراسة الصوت العربي , واستخدام الرسوم التوضيحية عند التحليل والشرح .
- إثراؤه للدرس اللغوي العربي بمجموعة من المصطلحات مثل : النبر , والتتغيم , والمجرى , والمماثلة , والمخالفة , وأصوات أشباه اللين , والصوت الانفجاري , وموسيقا الكلام , والمقطع الصوتي , وشدة الصوت , ودرجة الصوت .

- زيادة التعمق في فهم وشرح مصطلحات القدماء خاصة عند سيويوه وابن جني .
- تصويب وتصحيح بعض المصطلحات القديمة في ضوء الفهم الحديث للأصوات مثل الأصوات اللثوية والذلقية .
- الترتيب الدقيق للحروف تصاعديا ابتداءً من الحلق حسب آخر المستجدات في عالم اللأصوات .
- توجيه عناية الدارسين إلى أهمية جهاز السمع في الدراسات الصوتية بعد أن كان شيه مهمل .
- وضع إشارات إلى ما يسمى علم الأصوات المقارن من خلال إشاراته إلى بعض جوانب المقارنة بين العربية وبعض اللغات الأجنبية .
- جهوده في ذكر مجموعة من التوجيهات والنصائح عند تدريس اللغات الأجنبية في ضوء معرفته لخفايا الإشكالات عند التدريس خاصة في البيئة المصرية .
- توجيهه النظر إلى الاستفادة من الدراسات الصوتية عن الطفل , وذكر بعض جوانبها .
- توجيهه النظر إلى الاستفادة من العلوم الأخرى في جانب الدراسات الصوتية مما يساعد على اكتمال نموها وخروجها بشكل سليم , وقد خص بالذكر علم التشريح , والعلوم الاجتماعية .
- حصر أعضاء النطق حصرا علميا مما استدعى الزيادة على ما جاء به القدماء مثل : الرئتان , ولسان المزمار , والأوتار الصوتية , وغضاريف الحنجرة .
- توسيع دائرة البحث في الدراسات الصوتية القديمة المستفاد منها لتشمل ما كتب عند العلماء من القرن الثاني إلى القرن التاسع لا على سبيل الاستقصاء .
- توصل الباحث إلى أن أسباب الاضطراب في الدراسات الصوتية القديمة يعود إلى سببين : الحاجة إلى التجريب من خلال المختبرات والآلات المساعدة التي لم تكن متوفرة في القديم ,

وعدم وعي الدارسين لجانب التطور اللغوي بسبب عامل الزمن والبيئة فلم يلاحظوا ذلك ولم يفتنوا إليه، ورووا البحوث الصوتية مبتورة حيناً وممسوخة حيناً آخر .

المصادر والمراجع:

- * أبو سكين د- عبد الحميد محمد , و د- شعبان عبد العظيم . محاضرات في المعاجم العربية , مطبعة الأمانة, مصر , بدون تاريخ .
- * أنيس د- إبراهيم . الأصوات اللغوية , ط5, مكتبة الإنجلو المصرية , القاهرة 1975.
- * بشر د- كمال محمد. علم اللغة العام , القسم الثاني (الأصوات) ط دار المعارف مصر 1986 م .
- * تمام , د- أحمد . مقالة بعنوان : إبراهيم انيس رائد الدراسات النحوية في ذكرى وفاته , 20 جمادى الآخرة 1397
- * الحمد د- غانم قدوري . الدراسات الصوتية عند علماء التجويد , مطبعة الخلود , بغداد 1986.
- * حسين , د- محمد محمد . الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر , ط3, دار النهضة العربية - بيروت 1392 هـ - 1972 م .
- * الخطيب القزويني , جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (666-739) , الإيضاح , تحقيق

- لجنة من اساتذة الأزهر , مطبعة السنة المحمدية - القاهرة, بدون تاريخ .
- *الداني, ابو عمر عثمان بن سعيد. التحديد في الإلتقان والتجويد وتحقيق د-غانم الحمد, ط1, الخلود -بغداد 1988.
- * السكاكي , أبو يعقوب يوسف (ت626) . مفتاح العلوم , ط القاهرة , بدون تاريخ ,
- * ابن سنان الخفاجي , محمد بن سعيد (ت466) . سر الفصاحة , ط1, دار الكتب العلمية, بدون تاريخ.
- *ابن سينا . رسالة أسباب حدوث الحروف, تحقيق محمد حسن الطيان , طباعة مجمع اللغة العربية , دمشق ط 1983.
- *الشايب, أحمد. أصول النقد الأدبي
- * شكري , د- أحمد خالد وزملاؤه . المنير في أحكام التجويد , إعداد لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على الكتاب والسنة , ط5, المطابع المركزية -عمان 1425- 2004م .
- * عبد التواب, د- رمضان. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , مكتبة الخانجي القاهرة ط1995 .
- * عبد الجواد , محمد. تفويم دار العلوم , القاهرة , 1952
- * الفخر الرازي , أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي . (545- 607) , التفسير الكبير , ط3, دار إحياء التراث -بيروت , بدون تاريخ .
- * الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط مخطوطات التجويد, مؤسسة آل البيت
- * المبارك, محمد .استقبال النص عند العرب , دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن , ط1999
- * مراد , عثمان سليمان . السلسبيل الشافي في أحكام التجويد الوافي , إعداد وتنفيذ سعيد حسن سمور, مطبعة الشرق , عمان , بدون تاريخ ,
- * مرعي الخليل, د- عبد القادر, المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر , ط1 , منشورات جامعة مؤتة 1413 هـ -1993م.
- * محمد مهدي علام . المجمعيون في خمسين عاما, الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية, القاهرة, 1406 هـ 1986م
- * محمد خير رمضان . تنمة الأعلام للزركلي , دار ابن الحزم بيروت 1418 هـ 1998م .
- * ناصيف , على النجدي . الدكتور إبراهيم انيس , مجلة مجمع اللغة العربية , القاهرة , الجزء 40 , 1397 . 1977
- * النعيمي, د- حسام سعيد. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني, وزارة الثقافة والإعلام -العراق, دار الرشيد للنشر, بغداد 1980 م.